

تعريب المدرسة أساس كل تعريب

لفضيلة الشيخ محمد البشير الابراهيمي
رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر
وعضو مجمع اللغة العربية

كان حضرة الاستاذ الكبير الشيخ محمد البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر قد استدعى الى مؤتمر التعريب الذي انعقد بالرباط بين 3 و 7 ابريل 1961 ولم يتمكن جنابه من الحضور ووصل بحته بعد انعقاد المؤتمر ويسعدنا ان نقدم مقتطفات من هذا الخطاب القيم ..

حدى الخياط شيخ المتخصصين فى التحليلات الكيماوية طريقة معروفة هو فيها نسيج وحده ، فهو يابى أن يكتب كلمة غير عربية فى الفرع الطبى الذى هو من اختصاصه ، وقد سمعت منه مرات ان العربية تنسج لدقائق الطب الذى برع فيها العرب ، اذا استثنينا كلمات قليلة يونانية أو فارسية ادخلها الفاراجى وابن سينا من ميراثها الفارسي .

ومصر - وما ادراك مامصر - فقد كان لكتابتها ولجمعها اللغوى آثار مشهورة فى تعريب الالفاظ والمصطلحات العلمية ، وكان لعلمائها البارزين - كثر الله عددهم - ايد على العربية بما وسعوا من آفاقها وما نموا من ثروتها .

فهؤلاء الاخوان السابقون الاولون فى هذا الميدان يجب أن نأخذ عنهم ونقلدهم ونتبّع خطواتهم فى التعريب من غير أن تقصر التقصير الشائن ، او نندفع الاندفاع المتهور أو نتبعهم فيما أخطأوا فيه أو نتساهل فيما تساهلوا فيه فان المتأخر متعقب وعسى أن يرزقنا الله صوابا تكون به قدوة لمن بعدنا ، ومرجعا لمن سبقنا ، فان الحق لا يتقيد بزمان ولا بوطن .

تعريب المدرسة والجامعة

هذا كله فى التعريب المستعجل كالهنة التى تقدم للضيف قبل حضور القرى ، اما مايلزم بعد هذا ، من اعداد واستعداد فيلقى كله على كاهل

التعريب نوعان: نوع جزئى ونوع كلى ، فالتعريب الجزئى هو تعريب الالسنة والاقلام واثارهما من خطابه ، وكتابة ، ويدخل فيه تعريب الدروس التعليمية ، والثانى يشمل هذا ، ويشمل التخلّق باخلاق العرب والتحلّى بكل ماشتهر عنهم من محامد وفضائل ، فلنعرب ما استطعنا من الالفاظ ، والمصطلحات والتعليم ، وكتبه وأساليبه ، ولغته ، ولننقح على قدر الامكان ، ولنكفل بقية التصفية والغربة للزمن ، فاننا اليوم فى وقت ضرورة تتقاضانا الاستعجال فى كل شىء ، وليس المستعجل كالمثانى ، ولننظر لغتنا من اوضاع الاستعمار ولغاته ولا نسدع أجيالنا الناشئة تنشأ على اعتقاد ناقص فى لغتها بل نتحيل لها فى جلب معانى الاعتزاز بها ، ونفرض فيها معانى التمجيد لها .

ولسنا بدعا فى هذا النوع من التعريب فقد سبقنا اليه اخواننا فى الشرق العربى وكان أسبقهم اليه وأسرعهم خطى فيه اخواننا السوربون فما خرجوا من التسلط التركى حتى كانت كتب التربية والتعليم على اختلاف فروعه جاهزة باللسان العربى ، وكذلك كتب الطب والصيدلة والحقوق ومصطلحاتها ، وكانت الجهود التى قامت بذلك جهودا فردية ، وما تم اسبوع على الجلاء حتى ظهرت كتب عربية موضوعية ومرجمة فى التعليم بجميع مراحلها ، وللسوريين الى الآن نشاط محمود فى هذا الميدان ولصديقنا الدكتور

المدرسة الابتدائية وتلامذتها ، فالالف المهملة التي يلفو بها صبياننا في كتابيهم واكواخهم هي مفتاح التعريب الواسع .

يجب في هذا المضمار أن تتلاقى الجهود على تعريب المدرسة الابتدائية ، وتعريب ابنائها ، وتعريب التعليم ، وتوحيد أساليبه ، وكتبه في جميع المراحل طبقا للروح العربية، وانتقاء الكتب هو اساس التعريب وخصوصا في المرحلة الابتدائية التي هي مرحلة التكوين اللغوي في هذه المرحلة على طريقة ابن سيده في (كتابه المخصص) ، وصوره المصغرة (ككتاب كافية التحفظ) للاجدابى . (والالفاظ الكتابية للهمذاني وطريقة ابن سيده هي ترتيب الالفاظ اللغوية على المعاني لا على الحروف الهجائية واحسن كتب الدراسة للصغار هما : كافية المتحفظ ، والالفاظ الكتابية ، يبدأ التلخيص في معرفة اسماء اعضاء جسده في اللغة الفصيحة ومعرفة ماهو منسوب اليها من الاعمال ، وكل ماهو متصل بها ، ثم يتدرج الى معرفة الاشياء المتصلة به مما يقع تحت نظره ويدخل في تصرفاته اليومية ، فلا ينتهي من هذه المرحلة الا وهو حافظ لجزء كبير من اللغة ، ومحسن للتصرف فيه من دراسته (للالفاظ الكتابية) للهمذاني .

وأنا لاعتنى الكتابيين بعينها بل يجب أن تؤلف لهذه المرحلة كتباً لغوية صغيرة على غرار الكتابيين الذين مثلت بهما إذ هما من ائمن ماترك لنا سلفنا من الكتب الموضوعية لتربية ملكة اللغة العربية في الصغار ، وتقرب انطباعهم على لغتهم من طريق سهل طبيعي لاجوج فيه ، ويجب حمل التلامذة على التكلم بالعربية الفصحى ماداموا في المدرسة وتدريبهم على الكلمات السهلة ثم الجمل الفصيحة ثم التراكيب الجارية على القوانين العربية ، فلا يجاوزون مرحلة التعليم الابتدائي الا وهم عرب (صغار) ومن الحكمة في هذه المرحلة الاينطق المعلمون امامهم بكلمة أعجمية حتى لا تخدش ملكاتهم فان كلمة واحدة قد تفسد كل عمل.

ومن العجيب ان التعليم الاوربي اليوم يسلك في تعليم اللغات مسلكا قريبا من طريقة الاجدابى والهمذاني ثم تأتي المرحلة الثانوية فتتوسع لهم في القواعد والتراكيب التي تقوى ملكاتهم وتنسيها ونسائل قليلا في ادخال الالفاظ الاعجمية في علوم الطب والكيمياء. وسائر العلوم الكونية الداخلة في منهاج التعليم الثانوي ان كانت تلك الالفاظ اصطلاحية

عامة وضرورية وليس لها مرادف عربي ، او تفسر له بما يقاربه ولو بجمل ، وان يمرنوا على الخطابة ويكلفوا بالقاء محاضرات قصيرة تنتقن لها الالفاظ والتراكيب وان يفرض عليهم مطالعة كتب مختصرة فصيحة ، بليغة ، سهلة ، والا تكثر لهم حصص اللغات الاجنبية حتى لا تصادم اللغات في اذهانهم فينشأوا ضعافا في الكل ، فينبغي ان نفهم نحن ويفهم ابنائنا ان اللغة العربية هي رأس المال الذي يجب المحافظة عليه وان اللغات الاجنبية هي ربح فلا تعطى من العناية ولا من الوقت الا مايزاحم لغتنا الاصلية ، ولا يبتليها بالضعف ، ولا يمس قدسيتها عندنا .

ثم تأتي مرحلة التعليم العالي فتكون الملكة العربية قد استحكمت في التلميذ وتم (تعريبه) على اكمل وجه ، فاذا توسع في اللغات الاجنبية فلا يخشى عليه انتكاس ولا تراجع ولا استعجاب لان لسانه أصبح عربيا ويؤيده فكر عربي وعقل عربي فلا تزاحمه لغة أخرى مهما توسع في أصولها وفروعها ولان أفكاره وتصوراته الذهنية اصبحت كلها عربية ، يملك تصويرها والتعبير عنها باللغة العربية بسهولة. وان هذا هو موضع الخطر على ابنائنا المتعلمين بلغة أجنبية من غير أن يسبق لهم المام بلغتهم ، ذلك انهم يحملون في انفسهم - ككل البشر - تصورات ومعاني كثيرة وحقائق علمية وتخيلات ذهنية ولا يستطيعون بيانها والتعبير عنها بلغتهم العربية في حال انهم يستطيعون التعبير عنها باللغة الاجنبية التي يتقنونها، فادت بهم هذه الحالة بالتدرج الى كراهية العربية وانتهت بهم الى بغضها ثم الى الحقد عليها واتهامها بانها لغة قاصرة ، ضعيفة ، أو ميتة ، ولا تستطيع أن تزاحم اللغات ، أو تقوى على حمل الحضارات ، ثم تنتهي بهم هذه الحالة الى الانسلاخ من العروبة والى احتقار الذين تترجم عنهم هذه اللغة وذلك هو الضلال البعيد وفاتهم أن هذه العيوب التي نحلوها للعربية هي بريئة منها ، وان العيب فيهم وحدهم ، اذ لم يتعلموا لغتهم ، ولم يفقهوا اسرارها ولم يتذوقوا بيانها ومن جهل شيئا عاداه .

الكتاب واثره في التعريب

وبتعريب المدرسة من الكتاب الى الجامعة ، وتعريب التعليم من المعلم الى الكتاب تكون قد عربنا جماعة تقوم بتعريب الجماعات وتعريب الاجتماع وتعريب البيوت وان اكبر عقبة تلقانا في هذا الطور هي تعريب المعلم نفسه ، فيجب أن نحتاط لها ، والا

المخلصين ، وأدينا حق الله وحقق دينه وحقق العروبة على أكمل وجه ، وقمنا بالامانة والمهدد كما أمر الله ومهدنا للقومية العربية الكاملة بازاحة العقبات من سبيلها ، وجمعنا ما فسرقت السياسة والسياسيون منا ومن الاجانب وانفهم زانم ، واصبحنا بهذا التعريب الشامل اذا طلبنا معلما وجدناه عربى اللسان والشامل والهمم والاخلاق قبل أن نجد فيه معلما واذا طلبنا خطيبا واعظا وجدناه كذلك قبل أن نجد فيه الخطيب ، واذا طلبنا طبيبا او صيدليا او محاميا او فنانا أو قاضيا أو جنديا أو شرطيا أو غيرهم ، ممن تقوم بهم المصلحة العامة ، وجدناهم عربا بلسانهم ، وشمائلمهم ، واخلاقهم ، وهمهم قبل أن نجد فيهم الموظف الشخصى العربى بالاجرة .

نحن معشر العرب أصبحنا فى حاجة ملحة الى التعريب فى كل علاقتنا بالحياة فنحن فى حاجة الى تعريب السنننا وأفكارنا وعقولنا وأذهاننا وتصوراتنا ، وأكاد أقول ولباسنا ونعالنا وأساليب معاشنا ، وهيئات أكلنا وشربنا ونومنا ، وأنثاث بيوتنا ، فقد عم حياتنا كلها المسخ والقلب ، وزمانا الاستعمار بالفاقرة وهى فساد الاخلاق فىنا ، فلم يبق من سمات العرب شئ، الا توافه ودعاوى على الالسننة .

فاعملوا واتقنوا ، واصبروا ، وشدوا عزائمكم ، واقرنوا الاقوال بالاعمال ، فقد مضت اعمارنا فى الاقوال بدون أعمال حتى ساورتنا القنوط وكدنا نياس من روح الله ، فكم من اجتماعات دعى اليها وانقضت من غير نتيجة ، وكس من أنهار من المداد سالت فى هذا السبيل ، ولم تنته الى مفيد ، فكفروا عن سيئات من قبلكم بالجد والعزم والحسم والانجاز .

محمد البشير الابراهيمى

نكل تعريب أبنائنا الى معلم غير معرب ، ونحن نتوقع أن تقع فى هذه النقطة فيما يشبه الدور ، ولكننا نستطيع الانفكاك عند عزم الحكومات ، وادراز النفقات فعلى الحكومة وعلى وزارة المعارف المختصة ان تبدأ هذه المرحلة بتأليف الكتب الابتدائية ووضعها على ما يوافق مناهج التعريب ، وتطبعها ، وتأخذ المعهد على معلمى هذا الطور أن يلتزموا مافس تلك الكتب ولا يخرجوا عنها يمينا ولا شمالا ، فالمعلم مهما كان ناقص التعريب يستطيع الاهتداء بالكتاب الكامل، والصعوبات انما تعترضنا فى تعريب الجيل الاول فلا بد لنا من الصبر الطويل. والحزم الحازم والحكمة الحكيمة ، لتغلب على جميع الصعوبات ، ونجتاز جميع العقبات، ولا تبتنى الراحة الا على التعب .

أما النوع الكلى من التعريب فهو التعريب الشامل النافع وهو غاية الغايات لكل عامل مخلص للعروبة ، فلا يتم تمامه بالعلم وحده وان بلغنا فيه عنان السماء ، فالعلم وحده لا يفيد اذا لم تصحبه فى كل خطوة تربية نفسية على شمائل العرب وهمهم ، وبطولتهم ووفائهم وصدقهم فى القول ، والعمل والحال ، وتضحيتهم وإيمانهم ، وكرمهم ، وشجاعتهم واحسابهم ، وقد قال تعالى فى وظيفة الرسول : « ويزككم ويعلمكم الكتاب والحكمة » ، فقدم التزكية التى هى التربية على تعليم الكتابة والعلم . وهذا النوع من التعليم الكلى يجب أن تقوم به جماعات من خطباء المساجد ومن الوعاظ ، ومن حملة الاقلام العربية المسلمة فيتواطأوا جميعا على نفسة واحدة هى أن الاسلام عرب جميع معتنقيه بالاتساق اليه ، وان كان من تكلم العربية فهو عربى ، وان العربى لا يكون حتى يكون فيه كل ما اثر عن العرب من شمائل وأخلاق .

اذا تم لنا التعريب بنوعيه الجزئى والكلى نكون قد حصلنا على نتيجة عجز عنها من قبلنا من الدعاة